المرتكزات الفكرية والسياسة للمقاومة الفلسطينية

Intellectual And Political Bases For the Palestinian Resistance

أ. **د. محمد داخل كريم** ، جامعة الحمدانية، كلية التربية للعلوم الإنسانية ، قسم التاريخ
أ. **د. شذى فيصل رشو** ، جامعة الحمدانية، كلية التربية للعلوم الإنسانية ، قسم التاريخ

تاريخ الاستلام 2025/5/1 تاريخ القبول: 2025/6/1 تاريخ النشر: 2025/6/15

ملخص:

شكلت المقاومة الفلسطينية للاحتلال الإسرائيلي إحدى الأوجه المهمة في مسار القضية الفلسطينية ، وتشير الوثائق التاريخية ان هذه المقاومة بدأت عملياً منذ الربع الأخير من القرن التاسع عشر عند وصول أولى دفعات المهاجرين اليهود إلى فلسطين ، وأخذت المقاومة تتراوح بين التنديد والتظاهرات والاعتصامات وازدياد المنشورات والكتابات للمفكرين والكتاب العرب والمسلمين الذين ابرزوا في كتاباتهم خطر هذه الهجرات وانها تمثل تغييرا ديموغرافيا على حساب العرب في فلسطين تمهيدا للسيطرة عليها وفي هذا الصدد كانت الصفة السياسية تطغي على اوجه المقاومة .

كلمات مفتاحية: المرتكزات الفكرية – المرتكزات السياسية – المقاومة – فلسطين

Abstract:

Palestinian Resistance hasformed one of the most important aspects in the issue. Historical documentations show that this resistance has bogus practically since the last quarter of the 19th century when first Jewish refugees reached Palestine. Resistance continued between rejection and demonstration till the features of the Zionist state has appeared in Palestine. Consequently, the resistance has transformed to the style of armed struggle which included the British who occupied Palestine at that time. They began to establish the Zionist state since their declaration in 1917. Thus, the armed resistance has become the significant feature to face that situation.

Keywords: Intellectual Underpinnings - Political Underpinnings - Resistance - Palestine

مقدمة:

لا شك ان قضية فلسطين هي قضية الشعب العربي والإسلامي بأسره ، لما تحمله هذه القضية من ابعاد سياسية وقومية ودينية تتعدى محيط فلسطين الوطني ، وانها تمثل قضية دولية ساهمت بريطانيا ودول استعمارية اخرى في توجيه مسار الاحداث الى مال الت عليه واعلان الكيان الصهيوني في على حساب وجود عربي اسلامي ومسيحي عاش فيها منذ عهود طويلة ، ولعل المقاومة التي أبداها الشعب الفلسطيني منذ الأيام الأولى لوضوح نوايا الاستعمار والصهيونية في احتلال فلسطين بانواعها السياسي والعقائدي يعد مهما في فهم ماهية المرتكزات التي انطلقت منها المقاومة الفلسطينية قبل وبعد اعلان الكيان الاسرائيلي ، هو اساس القضية ولهذا وقع الاختيار على هذا الموضوع ، لبيان الأساس الفكري الذي انطلقت منه هذه المقاومة منذ بداياتها.

تبدو عملية دراسة المرتكزات الفكرية والسياسية للمقاومة الفلسطينية من الأهمية بمكان أنها توضح لنا الأسس الشرعية لهذه المقاومة وكيف أنها كانت حقاً مشروعاً لشعب وقع تحت الاحتلال ، وقد ضمنت الأديان السماوية والأعراف الدولية هذا الحق وبناء على ذلك فان الدراسة ستكون استعراضاً لأشكال المقاومة منذ نشأتها الأولى في الربع الأخير من القرن التاسع عشر بعد وصول أولى دفعات المهاجرين الصهاينة إلى فلسطين وصولا مرورا بالخطوات التي اتبعتها بريطانيا والدول الاستعمارية لتحقيق الحلم الصهيوني وبناء عليه لم نحدد تاريخا للدراسة كون هذه المرتكزات هي الاساس الفكري للمقاومة الفلسطينية ليومنا الحاضر وما جرى من تطورات سياسية خطيرة باعلان دولة اسرائيل لم يغير من شكل ومضمون فكر المقاومة للسنوات اللاحقة وما جرى من مواجهات سياسية وعسكرية وانتفاضات شعبية شهدتها فلسطين تدخل ضمن التوجه الفكري .

قسم البحث إلى محورين ، يتناول الأول جذور وابعاد القضية الفلسطينية والمقاومة وتطوراتها حتى الحرب العربية الاسرائيلية 1948م وعلان الكيان الصهيوني والمحور الثاني يركز على دراسة الأساس الفكري للمقاومة الفلسطينية والأسباب السياسية التي أدت إلى جعلها أمرا واقعاً وحقاً مشروعاً مع بيان التغيير الواضح في أساليب ووسائل تلك المقاومة والتي استندت عليها للسنوات اللاحقة .

جذور القضية والمقاومة الفلسطينية :

أصبحت بريطانيا في القرن التاسع عشر دولة استعمارية كبيرة تحتل أجزاء واسعة من العالم ، وكانت الهند ابرز مستعمراتها لذلك عملت على أحكام سيطرتها على طرق المواصلات التي تربطها بالهند فكان الوطن العربي أهم هذه الطرق و أقربها ،لذلك سعت بريطانيا جاهدة لاستعمار الوطن العربي وابقاء اغلب أراضيه تحت نفوذها ،[1] ومنعت أي محاولة لقيام وحدة عربية خوفا من ضرب مصالحها في الشرق وعلى هذا الأساس سعت بريطانيا بقوة للوقوف بوجه محاولات محمد علي باشا والي مصر (1848-1805م) لبناء دولة موحدة تضم مصر والحجاز وبلاد الشام وكونت تحالفاً دولياً مع الدولة العثمانية وروسيا وبروسيا والنمسا لضرب محمد علي واخراجه من الشام ثم إجباره على توقيع معاهدة 1840م وتحديد حدوده داخل مصر [2] .

والحقيقة أن الصراع الأوربي مع محمد علي باشا شكل البداية الحقيقية للقضية الفلسطينية حيث شعرت بريطانيا ان محاولة الوحدة تلك لن تكون الأخيرة لذلك يجب إن تضع حجر عثرة أمام أي محاوله لقيامها في المستقبل وعليه تبنت بريطانيا الحفاظ على الوجود العثماني الضعيف في الأقطار العربية في حينذاك ،[3] وقد وجدت هذه السياسة في الحركة الصهيونية أداة قوية لتنفيذها خاصة وان أهداف الصهيونية بدأت تظهر بعد هذا الصراع ، وفي عام 1896م أظهر كتاب (الدولة اليهودية) أهداف الصهيونية الرامية إلى الحصول على سند قانوني لأطماعها في فلسطين وقد استطاع مؤلف الكتاب تيودور هرتزل إن يضع هذا الهدف ضمن مقررات المؤتمر الصهيوني الأول عام 1897م في بازل بسويسرا .[4]

عند ذاك وجدت بريطانيا في الأهداف الصهيونية فرصة لمنع قيام دولة عربية وفي ذات الوقت لتبني كيان يكون قاعدة لها في المنطقة لذلك عملت بقوة على للضغط على الدولة العثمانية للسماح لليهود بالهجرة إلى فلسطين وشراء الأراضي ورغم عدم سماح السلطان عبد الحميد الثاني (1876 - 1909) بذلك إلا إن قراره بدأ يفقد مفعوله مع مرور الوقت بسبب النفوذ الاستعماري المتزايد في الدولة العثمانية ،[5] وضعف موقف السلطان أمام معارضيه المتمثلين بجمعية الأتحاد والترقي الذين استطاعوا إسقاطه عام 1909م مما فسح المجال أمام بريطانيا للتأثير على حكومة الاتحاديين والسماح بالهجرة اليهودية إلى فلسطين وهنا تحديدا شعر الفلسطينيون أن هذه الهجرة تشكل خطرا على بلادهم لذلك تأسس في يافا أول حزب سياسي في فلسطين أطلق عليه الحزب الوطني .[6]

وعلى الرغم من محاولات بريطانيا اظهار نفسها على انها صديق العرب وانها تريد تخليصهم من الحكم العثماني وقيامها بالاتصال بالشريف حسين بن علي بما عرف بمراسلات حسين – مكماهون ، إلا انها كانت تخطط خلف الكواليس لمنع قيام وحدة عربية حيث عقدت اتفاقية سايكس بيكو 1916م

لتقسيم الأرض العربية بعد هزيمة الدولة العثمانية وذلك مع فرنسا ، [7] تلتها بعد عام واحد إعلانها في الثاني من تشرين الثاني 1917 وعلى لسان وزير خارجيتها جيمس بلفور عن وعد بإنشاء دولة يهودية في فلسطين .[8]

ونتيجة لإحساس الفلسطينيين بخطورة هذا الوعد ، بدأت الاحتجاجات وإرسال المذكرات والعرائض إلى مؤتمر الصلح الدولي في باريس عام 1919 أعربوا فيها عن تمسكهم بأراضيهم ورفضهم لوعد بلفور،[9] غير إن بريطانيا كانت عازمة على تنفيذ بنود الوعد وجاءت معاهدة سان ريمو 1920م لتؤكد هذا التوجه حيث وضعت فلسطين تحت الانتداب البريطاني ، وهو ما يعني أول خطوة لبناء الدولة اليهودية عند ذلك انفجر الشعور الوطني الفلسطيني في مظاهرات وانتفاضات وثورات منذ هذا العام ، وخلال الفترة 1920-1922م نشطت الحركة الوطنية في محاولة لمنع عصبة الأمم من التصديق على صك الانتداب المادة (22) الذي عرضته بريطانيا على عصبة الامم وتم اقراره في 24 تموز 1922 ، خاصة وان الانتداب كان تحيزاً واضحا لليهود وانه وضع أساس نظام الهجرة اليهودية إلى فلسطين من خلال الوكالة اليهودية لتسهيل الهجرة .[10]

وبناءاً على ما تقدم فقد كانت ثورة 1920م الرد القوي على هذه التطورات ، حيث عمت مدن فلسطين المظاهرات ضد الوجود البريطاني مطالبة بالاستقلال وإسقاط الصهيونية،[11] ودعت التظاهرات إلى انضمام فلسطين للحكومة العربية في سوريا التي شكلها الأمير فيصل بن الحسين ، غير إن قوة ونفوذ بريطانيا أفشلت الثورة وأصبح الانتداب أمرا واقعا ، وخلال الفترة حتى عام 1927م لم تهدأ الأوضاع داخل فلسطين حيث أعلنت فلسطين إضرابا عاماً أثناء زيارة اللورد بلفور إلى القدس لافتتاح الجامعة العبرية عام 1925م ، وفي عام 1927م شهدت فلسطين أزمة اقتصادية نتيجة المصادرة للأراضي الفلسطينية وإقامة المباني اليهودية ، ثم جاءت انتفاضة 1929م التي كانت نتيجة الأعداد المتزايدة للمهاجرين اليهود ولزيادة الكبيرة في أعداد المستوطنات اليهودية ، وكانت هذه الانتفاضة اشمل واعم من سابقاتها.[12]

إزاء هذا التطور الواضح في ردود الأفعال الفلسطينية حاولت بريطانيا تسوية الأمر وتهدئة الفلسطينيين بإطلاقها التصريحات المستمرة بإيجاد حلول للمشكلة بين العرب واليهود وذلك بإصدارها للكتاب الأبيض عام 1930م الذي أكد على ضرورة تشكيل وطن قومي لليهود وتحديد الهجرة اليهودية وتشكيل مجلس تشريعي يضم العرب واليهود ، الا ان الفلسطينيين رفضوا مضامين الكتاب الأبيض وعدوه لايمثل حلا للقضية الفلسطينية ،[13] بل على العكس من ذلك فقد عقد المؤتمر الصهيوني في براغ عام 1933م الذي دعى إلى فتح أبواب فلسطين أمام الهجرة اليهودية بصورة غير محدودة ، نظرا لما كان يشهده اليهود من سوء الأوضاع في ألمانيا بعد استلام الحزب النازي للسلطة وهو ما رفضه الفلسطينيون الذين ثاروا من جديد عام 1933م .[14]

تطورت الأحداث بسرعة حيث قررت اللجنة التنفيذية العربية استمرار الثورة وشاركت الأحزاب السياسية مجتمعة مع أفراد الشعب في المظاهرات والإضرابات ، لا سيما بعد ان قامت عصابات صهيونية بمذابح للفلسطينيين في يافا عند ذاك اصطدم الفلسطينيون مع قوات الشرطة البريطانية في حيفا ونابلس والناصرة وطول كرم وهو ما أدى إلى إنزال قوات بريطانية إلى شوارع هذه المدن وتفرض الأحكام العرفية مما أدى إلى إخماد الثورة.[15]

إزاء تلك الأحداث أضحت أوضاع الفلسطينيين أكثر سوءا حيث ازدادت البطالة وفقد الفلاحون أراضيهم ، وازداد استفزاز اليهود للعرب الفلسطينيين وبدءوا بمهاجمتهم بين فترة وأخرى عن طريق العصابات التي شكلوها من اجل إخراجهم من قراهم ومدنهم ، وهو ما ادى إلى تذمر عام بين كافة طبقات الشعب وتمخض عنه إعلان الشيخ عز الدين القسام لثورة جديدة عام 1935م واصطدام بالقوات البريطانية في معارك دامية أدت إلى استشهاد القسام ،[16]

حاولت بريطانيا تهدئة الأمور والتفاوض مع الفلسطينيين غير أنها فشلت في ذلك بل أدت تلك الأوضاع إلى ثورة جديدة عام 1936م لم تتوقف حتى اندلاع الحرب العالمية الأولى عام 1939م ، وبدأت الثورة بإعلان إضراب عام شمل كل أنحاء البلاد وقطعت خطوط المواصلات وهاجم الثوار المعسكرات البريطانية و أسفرت عن مواجهات عديدة مما زاد في قسوة القوات البريطانية واستخدامها لشتى أنواع الأسلحة لضرب الثوار وبعد تدخل رؤساء الدول العربية بين الثوار والسلطات البريطانية هدأت الثورة وبدأت تتجه للانتهاء لا سيما بعد ظهور بوادر الحرب العالمية الثانية .[17]

كانت ثورة 1936م من القوة بحيث أجهدت بريطانيا كثيرا وحاولت بشتى الوسائل إنهائها ، ففضلاً عن استخدامها القوة لجأت إلى الأسلوب الدبلوماسي وذلك بأن أرسلت لجنة ملكية أطلق عليها لجنة بيل لوضع حل للمشكلة الفلسطينية وقررت اللجنة تقسيم فلسطين بين العرب واليهود ومنطقة الانتداب البريطاني ، ورفض الفلسطينيون المشروع تماما مما ادى إلى ان تلجأ بريطانيا إلى إرسال لجنة أخرى هي لجنة وودهد التي أكدت على رسم الحدود بين العرب واليهود وهو ما رفضه العرب أيضا ،[18] ولجأت بريطانيا إلى استخدام أسلوب المراوغة والخداع مرة أخرى بإصدارها الكتاب الأبيض عام 1939م الذي كان يمثل تقريرا نهائيا عن مدى سياسة بريطانيا تجاه فلسطين وتحقيق أهداف الصهيونية ولإنهاء حدة الصراعات والثورات ضد حكومة بريطانيا ، غير ان مضامين الكتاب لم تكن ألا تأكيد تحقيق اهداف الصهيونية في استعمار فلسطين .[19]

وبين اندلاع الحرب العالمية الثانية عام 1939م وانتهائها عام 1945م ازدادت المشكلة الفلسطينية تعقيدا حيث تحولت إلى دولة محتلة من قبل بريطانيا وليست منتدبة وفتحت أبواب الهجرة للصهاينة ، وبعد انتهاء الحرب حاولت الأمم المتحدة أيجاد حل للمشكلة بإرسالها لجنة التحقيق الإنكليزية – الأمريكية عام 1946م ، التي قامت بدراسة الأحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية في فلسطين ، و أوصت

بالسماح لمئة آلف يهودي بالدخول إلى فلسطين وعدم سيطرة العرب أو اليهود على الحكم فيها وإسناد الآمر إلى الأمم المتحدة لحماية جميع القوميات والطوائف في فلسطين .[20]

بعد ان عرضت نتائج اللجنة على هيئة الأمم المتحدة في 2 نيسان 1947م ورفض الفلسطينيين والعرب لمقرراتها ، قررت الأمم المتحدة إرسال لجنة تحقيق جديدة مؤلفة من (11) عضواً من ممثلي الدول الأعضاء في الهيئة وقدمت اللجنة بعد زيارة فلسطين مشروعين ، الأول يدعو إلى إنهاء الانتداب وتشكيل دولتين عربية ويهودية والثاني دعا إلى تشكيل دولة واحدة اتحادية بين العرب واليهود .[21]

ومع استمرار تدهور أوضاع الفلسطينيين الاجتماعية وكثرة تزايد المهاجرين اليهود وانتشار العصابات الصهيونية المدعومة من قبل القوات البريطانية وحالة عدم الاستقرار السياسي في فلسطين ، قامت بريطانيا بدون سابق إنذار بسحب قواتها من المناطق التي استولى عليها اليهود الصهاينة وهو ما فسح المجال لإعلان اليهود عن دولتهم في فلسطين عام 1948م ولتبدأ بعد ذلك صفحة جديدة من النضال والجهاد الفلسطيني لتحرير الأرض وتشكيل الدولة الفلسطينية[22] .

الأسس الفكرية والسياسية للمقاومة :

بالرغم من كثرة المصطلحات التي تستخدم في ادبيات المقاومة كالجهاد والكفاح المسلح والمقاومة وما إلى ذلك ألا أنها جميعاً أعطت الحق المشروع للشعب أو الآمة المحتلة او المستعمرة بممارسة المقاومة للوصول إلى الاستقلال من خلال حق تقرير المصير ، ولعل أول واهم من أباح حق المقاومة أو الجهاد هي الشرائع السماوية المقدسة وفي مقدمتها الشريعة الإسلامية من خلال العديد من الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة كقوله تعالى " أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير "[23] والأحاديث النبوية الشريفة الكثيرة في هذا المجال كقوله(صلى الله عليه وسلم) " رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه "[24] ، كذلك فأن السيد المسيح عليه السلام وبرغم دعوته للمحبه والسلام في الارض وسعيه الدائم لنشرهما بين البشرية ، الا ان محاربة الظلم والطغيان يتطلب رفع السيف بوجههما بدليل قول السيد المسيح (عليه السلام) " لا تظنوا آني جئت لألقي سلاما على الأرض ما جئت لألقي سلاما بل سيفاً..."[25]

إلى جانب ما تقدم فقد أباح القانون الدولي والشريعة الدولية والقوانين الوضعية الدفاع عن النفس ومحاربة الاحتلال وقد ذكرت أحكام الأمم المتحدة والقرارات الصادرة عن الجمعية العامة ومجلس الأمن حول مشروعية الكفاح المسلح للشعوب المستعمرة وتمييزه عن الإرهاب و أثر البيئة السياسية

الدولية في التقاطع بين المفهومين وخاصة في العقد الأخير من القرن العشرين وأحداث الحادي عشر من أيلول عام 2001.[26]

وفيما يخص موضوعنا فقد ذكرنا ان البداية الحقيقية للقضية الفلسطينية كانت اثناء فترة الصراع العثماني – المصري ، حيث أيقنت بريطانيا أن قيام دولة موحدة تربط أجزاء المشرق العربي يعني تهديد مباشر لمصالحها في المنطقة وفي الهند ، وعليه كان دعمها للتوجهات الصهيونية في فلسطين يأتي ضمن هذا المجال ، وقد أكدت الخطب والتصريحات التي أطلقها الساسة البريطانيون على ذلك ، ومنها على سبيل المثال تصريح بالمرستون عام 1838م الموجه إلى نائب القنصل البريطاني في القدس " كن حاميا لليهود بصورة عامة " وكتب إلى نائب القنصل مرة أخرى عام 1840م يقول " ان تشجيع السلطان لليهود وفتحه أبواب فلسطين أمامه سيقيمان عقبة في وجه ما يحتمل ان يقوم به محمد علي أو خلفه من مؤامرات ... احمل هذه الفكرة سراً إلى الحاكم التركي واطلب منه بصراحة تامة أن يشجع يهود أوربا على العودة إلى فلسطين ".[27] و استمرت هذه السياسة الاستعمارية للفترات اللاحقة مع ضغط مستمر على السلطان العثماني عبد الحميد الثاني الرافض لهذا المبدأ ، وبعد سقوطه أمام الاتحاديين انفتح المجال لدعاة الصهيونية لتنفيذ مطا ليهم ، وهنا تحديدا بداية المقاومة العربية التي استمرت حتى إطلاق وعد بلفور عام 1917م .غير أن سمة هذه المقاومة كانت سلمية عن طريق البيانات والتصريحات والتنديدات عبر الصحف والمجلات واللقاءات بين المثقفين والمسؤولين والوطنيين العرب. ومنها محاولات الضغط على السلطة التركية من خلال الأعضاء العرب في مجلس المبعوثان العثماني بعدم السماح لليهود بالهجرة إلى فلسطين.[28]

وبين هذه المقاومة السلمية برزت بعض المواجهات بين العرب واليهود لم تستند إلى فكر او تنظيم معين بل جاءت عفوية من قبل بعض الفلاحين الذين هجموا على بعض المناطق مثل الخضيرة وملبس التي تملكها اليهود المهاجرين بعد ان شعر هؤلاء الفلاحون بالخطر الذي يتهدد وجودهم أمام الهجرة اليهودية ،[29] غير ان الأعوام اللاحقة لاستلام الاتحاديين مقاليد السلطة 1908م أفرزت حركة مقاومة سياسية ملموسة من قبل العرب بعد أن أصبحت الهجرات اليهودية تشكل خطر على الوجود العربي في فلسطين وما يثأر بين المهاجرين اليهود انهم سيقيمون دولة في فلسطين ، ولما شعر العرب أن السلطة العثمانية ليست لديها القدرة على منع ذلك بداوا يبحثون عن أسلوب جديد يدافعون به عن أنفسهم وهنا نشأ الحزب الوطني في يافا الذي اعتمد على مبدأ معارضة قانونية الحركة الصهيونية ومحاربتها عن طريق منع الهجرة وبيع الأراضي لهم وأجراء إحصاء ما موجود منهم من مواطنين عثمانيين وفرض رقابة على برامجهم الدراسية واجتماعاتهم .[30]

بالإضافة إلى ذلك فقد نشأت جمعيات عديدة لمكافحة الحركة الصهيونية منها جمعية مكافحة الصهيونية 1913م في نابلس ، والجمعية الخيرية الإسلامية وجمعية الإخاء والعفاف وشركة الاقتصاد العربي الفلسطيني وشركة التجارة الوطنية الاقتصادية عام 1914 في القدس، وكانت اهداف هذه

الجمعيات معارضة الصهيونية بكل الوسائل والسعي لنشر الوحدة بين كل العناصر التي تتكون منها الأمة العربية وتقديم مساعدات في الشؤون الاقتصادية والتجارية وتطوير المزارعين والفلاحين لكي يقاوموا الهجرة الصهيونية .[31]

وبعد صدور وعد بلفور الذي اعتبر نصرا كبيراً لحركة الصهيونية و أول انتصار سياسي لها ، أصبحت الحركة الوطنية أمام خيرات جديدة تهدد وجودها ومصيرها في فلسطين ، فبدأت تظهر توجهات فكرية جديدة تضاف إلى ما ذكر سابقا منها اعتبار فلسطين جزءا من سوريا الطبيعية وهذا الشعار رفع حتى العام 1926م ، كذلك المطالبة بقيام حكم وطني نيابي مستقل يرتبط مع بريطانيا بمعاهدة ، وعندما عقد المؤتمر القومي الأول عام 1919م أكد على هذه المطاليب إضافة إلى رفض وعد بلفور والهجرة اليهودية ، وسارت الجمعية الإسلامية المسيحية في فلسطين على نفس الوتيرة في معارضة الهجرة والاحتلال والدمج مع سوريا ، غير ان أحوال البلاد كانت تتجه على عكس مطالب الحركة الوطنية حيث اقر الانتداب البريطاني على فلسطين بعد معاهدة سان ريمو 1920م واستمرت الهجرة اليهودية وبدأ العمل لبناء الدولة الصهيونية ، لذلك عمت المظاهرات أرجاء فلسطين احتجاجا على هذا التطور في الأحداث .[32]

وبناءاً على ما تقدم بدأت الحركة الوطنية تشعر أن الاتفاق مع بريطانيا لم يحقق مطاليب الشعب الفلسطيني في الاستقلال وان النضال الوطني يجب ان يكون ضد بريطانيا والحركة الصهيونية ، وعليه عقدت خلال فترة 1919-1929م سبعة مؤتمرات للحركة الوطنية كلها أكدت على العمل واستقلال فلسطين والوحدة مع الدول العربية وحشد قوى الشعب لتحقيق هذه الأهداف ، وبدأت حركة اقتصادية تعاونية مع العرب لمواجهة نشاط الحركة الصهيونية ، وكان الهدف من هذا النشاط محاصرة المشروع الصهيوني واقناع بريطانيا بصعوبة تنفيذه.[33]

وعلى اثر ثورة 1929م وإصدار بريطانيا للكتاب الأبيض عام 1930و1931م اتجهت المقاومة إلى منحى جديد تمثل بزيادة العداء لسلطات الاحتلال البريطاني والاستمرار في الهجوم على المشروع الصهيوني والهجوم هنا اصبح سياسيا ومسلحاً [34] ، وهذا ما أدى إلى ثورات 1933و 1935و 1936م الكبرى حيث اصبح الاشتباك مع القوات البريطانية والعصابات الصهيونية أمرا واضحا ، وبناءا عليه فالملاحظ هنا ان فكر المقاومة بدأ يتجه خلال عقد الثلاثينات إلى الوحدة بين الفصائل المختلفة الاتجاهات والغاية محاربة بريطانيا والحركة الصهيونية وجعل النضال يسلك سبيل الشرعية فجعلته نضال عرائض واحتجاجات، كما أنها كانت تحرص على شرعية مظاهراتها ، إلا أن نضال الجماهير كان يقود إلى الصدامات والعمل المسلح ويدفع قيادات الحركة الوطنية إلى اتخاذ مواقف أكثر حزما وجدية وكما حدث في الأعوام 1933و1936و1939م ، كذلك بدأت اتجاهات التعاون مع دول معادية لبريطانيا كألمانيا وإيطالية في محاولة

للحصول على الدعم والضغط على السلطات البريطانية ، لأن الحركة اعتبرت بريطانيا اصل المشكلة اكثر من الحركة الصهيونية [35] .

وبسبب قناعة قادة الحركة الوطنية الفلسطينية بأن بريطانيا وراء كل مآسي الشعب الفلسطيني فقد طرأ تغير خطير في فكر المقاومة عبر عنه الاتجاه الذي دعى إلى عقد تعاون مع الحركة الصهيونية والتفاهم معها ضد السلطة البريطانية ، غير ان الصهاينة رفضوا هذا الاقتراح لعدم استعدادهم التضحية بقوة بريطانيا ولقناعتهم التامة ان بريطانيا هي التي ستنشأ لهم الدولة الموعودة ،[36] وبعد هذا الفشل في فكر المقاومة لم يكن هناك حليف تحت الأنظار تلجأ أليه سوى الشيوعيين الفلسطينيين ، وعلى الرغم من اختلاف هؤلاء عن فكر المقاومة الفلسطينية القومية والوطنية إلا انهم يشتركون معهم في العداء للاستعمار والصهيونية ، غير ان التعاون بين هذه الأطراف أثبت عدم جدواه في الأعوام اللاحقة وخاصة بعد إعلان الحركة الصهيونية لدولتها . ومع تطور الأحداث المحلية والعالمية بين قيام الحرب العالمية الثانية وكثرة وصول لجان التحقيق التي أشارت إلى تقسيم فلسطين و أكدت على ضرورة قيام دولة يهودية واطلاق الهجرة الصهيونية لم يكن أمام فكر المقاومة الفلسطينية إلا خيرات محددة منها الرفض لكل مقررات اللجان حفاظاً على هوية فلسطين عربية موحدة والاستمرار بالمقاومة السلمية والمسلحة لأجبار الصهاينة والانكليز للأذعان لمطاليب العرب ، لذلك ظلت المقاومة الفلسطينية ترفض التسوية ، وكان الرفض دليل التمسك بالقضية وعدم التفريط بها واستطاعت على الأقل ان تؤجل قيام دولة الاحتلال وان تقلل من عدد المهاجرين ومساحة الأرض المبيوعة ، وان الهجمات والضربات التي وجهتها المقاومة في كل الثورات والانتفاضات لايمكن عزلها عن اطارها السياسي وهي بتعبير أدق دفاع عن النفس او ارباك لمخططات العدو او تجنب كارثة كبيرة كقيام دولة الاحتلال وهو ما وصلت اليه الاحداث عام 1948م.[37]

ومع نهاية الحرب العربية الاسرائلية واعلان الكيان الصهيوني اتضح جليا ان المخطط الاستعماري البريطاني والصهيوني اصبح واقعا وان قيام دولة فلسطينية الى جانبه بات بعيد المنال وعليه فأن المرتكزات التي استندت عليها المقامة التي بدأت مع التغلغل الصهيوني في فلسطين اتمرت وسوف تستمر مع اختلاف المسميات والجهات التي تتبناها .

الخلاصة :

لقد تعاظمت مظاهر العداء للحركة الصهيونية في فلسطين منذ ان عقدت الحركة الصهيونية مؤتمرها الاول في بازل بسويسرا عام 1897م ، وذلك بعد ان اظهر هذا المؤتمر النيات المستقبلية للحركة الصهيونية في احتلال فلسطين وتجميع اليهود فيه لتكون وطننا قوميا لهم . وتبولت هذه الفكرة بدعم استعماري لهذه الحركة كزء من مخططات الاستيلاء على الاراضي العثمانية وتفتيت العالم العربي والاسلامي ، كان وعد بلفور عام 1917م الخطوة الحقيقة الاساس التي جعلت من الدعوة اليهودية قابله

للتنفيذ ، وبناء عليه فقد بدأت المقاومة سلمية عن طريق الخطابات والصحف والمجلات وكثرة كتابات المفكرين والكتاب في هذا المجال وهو ماعني بالتنديد والاستنكار والرفض للهجرة اليهودية إلى فلسطين وهو مايمكن ان نطلق عليه بالمرتكز السياسي ، وكانت المقاومة بهذه الأيديولوجية قد استمرت حتى نهاية العشرينات من القرن العشرين ، وقد اسهم اعلان الانتداب البريطاني على فلسطين في بلورة تطور الاحداث فيها على صعيد تحقيق الحلم الصهيوني وموقف الفلسطينيين والعرب ، تلتها خلال فترة الثلاثينات المرحلة التي استملك فيها اليهود نسبيا على الكثير من الاراضي تحت الاغراء احيانا او الضغط بالقوة بمساعدة دولة الانتداب بريطانيا لتأتي بعد ذلك المرحلة الثالثة بالتطبيق العملي لافكار مؤتمر بازل واوعد بلفور وذلك باعلان دولة اسرائيل وهو ما اضفى جانبا جديدا على الاسس التي اعتمدت عليها المقاومة الفلسطينية ببروز الفكر العقائدي الاسلامي اضافة الى التيار السياسي الوطني والقومي ليشكلوا معا خط مواجهه واحد ضد الوجود الاسرائيلي في فلسطين والدفاع عن حقوق شعبه استمر للعقود اللاحقة لاعلان دولة اسرائيل بازدياد المواجهات العسكرية والانتفاضات الشعبية .

الهوامش :

1. محمد عزة دروزة ، القضية الفلسطينية والخطر الصهيوني (القاهرة ، 1961) ص ص 82-96.
2. لوتسكي ، تاريخ الأقطار العربية الحديث ، ترجمة : عفيفة البستاني ، ط7، (بيروت ، 1982) ، ص 145؛ وبخصوص تفاصيل لأهداف الاتفاق الأوربي، انظر : جوزيف حجار ، اوربا ومصير الشرق العربي ، حرب الاستعمار على محمد علي والنهضة العربية ، ترجمة : بطرس الحلاق وماجد نعمة ، (بيروت ، 1976) ، ص ص 157-216.
3. محمد انيس ، تاريخ القضية الفلسطينية (القاهرة ، د.ت) ، ص ص 56-61.
4. فايز صايغ ، الاستعمار الصهيوني في فلسطين ، ترجمة: عبد الوهاب الكيالي ، (بيروت،1965)،ص ص 46-47.
5. عادل حسن غنيم ، الحركة الوطنية الفلسطينية من 1917-1936، (القاهرة ، 1974)، ص 49؛ لقد كان السلطان عبد الحميد واضحا في هذه المسألة حيث قال " أنني لا استطيع ان اتخلى عن شبرً واحد من الاراضي فهي ليست ملكي بل ملك شعبي فليحتفظ اليهود بملاييهم "، انظر: زاهية قدورة ، تاريخ العرب الحديث ، (بيروت ، 1975)، ص 189.
6. صايغ ، المصدر السابق ، ص 76.

7. قدورة ، المصدر السابق ، ص 188.

8. حول تصريح بلفور وما جاء به ، انظر : احمد طربين ، تاريخ القضية الفلسطينية منذ نشأة الحركة الصهيونية حتى نشوب الثورة الكبرى 1936، (القاهرة ، 1959)،ص ص 146-147.

9. جورج انطونيوس ، يقضة العرب ، (بيروت ، 1962)، ص 386.

10.كانت مواد صك الانتداب قد ابرمت على اقامة وطن قومي لليهود باعتراف بريطانيا ، أي ان الانتداب كان مكملا لوعد بلفور ولكن بطريقة اكثر تصديقا من خلال الاعتراف بالوكالة اليهودية ووضع أسس تنظيم الهجرة بصورة غير محدودة ، خاصة بعد ان منحت بريطانيا مساحات واسعة من الاراضي البور إلى اليهود مما ادى إلى تجزئة الممتلكات العربية، حيث سهلت في انتقال الأراضي الفلسطينية للمهاجرين اليهود ، للتفصيل، انظر : كامل محمود خلة ، فلسطين والانتداب البريطاني ، (بيروت ،1974)، ص ص 161-165.

11.توفيق سلطان اليوزبكي واخرون ، دراسات في الوطن العربي الحركات الثورية والسياسية ، ط4 ، (الموصل ، 1973)، ص ص 112-113.

12.غنيم ، المصدر السابق ، ص 138.

13.احمد عزت عبد الكريم ، دراسات في تاريخ العرب الحديث ، (بيروت ، 1970)، ص ص 449-450.

14.عبد الوهاب الكيالي ، تاريخ فلسطين الحديث ، ط3، (بيروت ، 1973)، ص 233.

15.اليوزبكي ، المصدر السابق ، ص ص 115-116.

16.الكيالي ، المصدر السابق ، ص ص 289-290.

17.نجيب صدقة ، قضية فلسطين ، (بيروت ، 1946)، ص ص 153-156.

18.عبد الكريم ، المصدر السابق ، ص 452؛ غنيم ، المصدر السابق ص 185؛ انطونيوس ، المصدر السابق ، ص 397.

19.إبراهيم ابو الفدا ، دليل القضية الفلسطينية ، (بيروت ، 1967) ، ص ص 169-170.

20.محمد فاضل الجمالي ، ذكريات وعبر من العدوان الصهيوني واثره في الواقع العربي،(بيروت ، 1964) ، ص 26.

21.سمير عبد الوهاب عبد الكريم التكريتي ، العراق والقضية الفلسطينية ، 1948-1958م ، رسالة ماجستير ، كلية الاداب ، جامعة بغداد ، 1987، ص ص 31-32.

22.نور الدين زين، الصراع الدولي في الشرق الأوسط، (بيروت ، د . ت)، ص ص 9 – 59.

23. سورة الحج الاية 39 ، انظر كذلك السور الكريمة : التوبة 16- 19-20-24-44-73-79-81 العنكبوت 6 – 8 – 69 ؛ التحريم 9 ؛ لقمان 15 ؛ ال عمران 142 ؛ النحل 38 – 110 ؛ البقرة 218 ؛ المائدة 35 – 53 – 54 ؛ الانفال 72 – 74 – 75 ؛ الحج 78 ؛ الحجرات 15 ؛ النساء 95 ؛ محمد 31 ؛ الفرقان 52 ؛ الممتحنة 1 ؛ الصف 11 ؛ النور 53 ؛ فاطر 42 وللتفصيل انظر : ابراهيم النعمة ، الجهاد في التصور الاسلامي ،

24. صحيح مسلم 1913، وهناك العشرات من الأحاديث المروية في صحاح المسلمين يمكن مراجعتها .

25. العهد الجديد ، طبعة دار الكتاب المقدس في الشرق الاوسط ، انجيل متي ، الإصحاح العاشر ص 18-19.

26. للتفاصيل انظر : باسيل يوسف ، الكفاح المسلح وسيلة جهادية وتميزه عن الإرهاب في القانون الدولي ، في مجموع باحثين ، الجهاد فكرا وممارسة ، اعمال الندوة العربية لبيت الحكمة ، بغداد : 2002، ص ص 357-410.

27. سليمان موسى ، الثورة العربية الكبرى وثائق واسانيد ، (عمان ، 1966) ، ص 20ومابعدها

28. اسعد رزوق ، اسرائيل الكبرى دراسة في فكر التوسع الصهيوني ، (بيروت ، 1968)، ص 98.

29. الكيالي ، المصدر السابق ، ص 63.

30. الكيالي ، المصدر نفسه ، ص ص 70-71

31. لبيان أهداف الحركة الوطنية ومظاهر المقاومة ، انظر : ناجي علوش ، الحركة الوطنية الفلسطينية أمام اليهود والصهيونية 1882-1948، (بيروت ، 1974) ، ص ص 115-139.

32. علوش ، المصدر نفسه ، ص ص 139-179.

33. الكيالي ، المصدر السابق ، ص 191.

34. علوش ، المصدر السابق ، ص ص 180-209

35. الكيالي ، المصدر السابق ، ص 338.

36. علوش ، المصدر السابق ، ص ص 233-270

37. المصدر نفسه ، ص ص 271-293